جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

المُثُل العُليا
فِي شِعْرِ فَهْد العَسْكر (١٩١٧ – ١٩٥١م)

إعداد
د. كَريم مُحمّد مُحمّد صدّيق
مدرس لغة عربية بمدرسة الرحمن الخاصة للغات - الإسكندرية

(العدد الواحد والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠ أكتوبر)
(الجزء الأول (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٢/٦٢٧١م

المُثُل العُليا فِي شِعْرِ فَهْد العَسْكر (١٩١٧ – ١٩٥١م)

كَريم مُحمّد مُحمّد صدّيق

مدرس لغة عربية بمدرسة الرحمن الخاصة للغات الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: *dockarimseddik@gmail.com*

ملخص البحث:

عانى الشاعر الوجداني في تشبثه بمثله العليا وحنينه إلى عالمه الروحي أزمة مزدوجة ، يتصل جانب منها بالمجتمع ويتصل جانب بوجوده الباطني وما يدور فيه من صراع بين الجسد والرح والشر والخير، أو بين الطين والنور كما يعبر الشعراء الوجدانيون، وهو في شغفه بالجمال البشري والطبيعي ونفوره من الدمامة في الأخلاق والسلوك والصلات الاجتماعية وبغضه للفقر والظلم وغلظة الطبع لا يصدر عن مفهوم سياسي أو فلسفة اجتماعية ، بل يدرك ما في مجتمعه من متناقضات بوجدان مرهف يجد في كل هذه المظاهر رذائل خلقية واجتماعية يدينها بمعيار خلقي وإنساني في المحل الأول . ويتناول هذا البحث مطلبا هامًّا اعتنى به شعراء الرومانتيكية منذ ظهورها، وهو الدعوة إلى المثل العليا، وقد اخترت رائدا من رواد الرومانتيكية في الكويت وهو الشاعر فهد العسكر (١٩١٧ – ١٩٥١م)؛ حيث اتضحت عنده هذه الدعوة في مظاهر عدة، أبرزها الدعوة إلى الحرية والثورة على التقاليد ، الاهتمام بقضايا الوطن ، الحنين إلى الماضي بكل ما يحمله من قيم .

الكلمات المفتاحية: فهد العسكر ، الرومانتيكية ، الاتجاه الوجداني ، الرومانسية ، الثورة على التقاليد ، قضايا الوطن ، الحنين إلى الماضي .

Ideals in the poetry of Fahd Al-Askar (1917-1951 AD)

Karim Muhammad Muhammed Siddik

Arabic language teacher at Al-Rahman Private School for Languages, Alexandria - Arab Republic of Egypt

Email: *dockarimseddik@gmail.com*

Abstract

In his clinging to his ideals and his longing for his spiritual world, the sentimental poet suffered a double crisis, one part of which was related to society and the other part was related to his inner existence and the conflict that takes place in it between the body and spirit, evil and goodness, or between clay and light as the sentimental poets express, and he is in his passion for human and natural beauty and his distaste for The obstinacy in morals, behavior, and social relations, and his hatred of poverty, injustice, and stubbornness does not stem from a political concept or a social philosophy. Rather, he realizes the contradictions in his society with a sensitive conscience that finds in all these manifestations moral and social vices that he condemns by a moral and human standard in the first place. This research deals with an important demand that romantic poets have taken care of since its emergence, which is the call to ideals. I chose a pioneer of romanticism in Kuwait, the poet Fahd Al-Askar (1917-1951); This call became clear to him in several manifestations, most notably the call for freedom and revolution against traditions, concern for the issues of the homeland, and nostalgia for the past with all its values.

Keywords: *Fahd Al-Askar, Romanticism, Sentimental Tendency, Romance, Revolution Against Tradition, Homeland Issues, Nostalgia For The Past.*

مقدمـــــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلامًا على عبادِه الذين اصطفى، لا سيّما عبده المصطفى، وآله وصحبه المستكملين الشرفَ، أما بعد، لاحت بوادر التطور في عالمنا العربي مع بدايات القرن العشرين ، فغدا المثقف العربيُّ في صراع متعدد الجوانب بين القديم والحديث، في الاجتماع والسياسة والأخلاق والعادات والأدب والفن .

ثمّة صراعٌ عنيف قد احتدم بين المستعمر الغربي من ناحية، والشعوب العربية التي تستشرف طريقها للحرية من ناحية أخرى.

وفي ظل ذلك التطور الممتد من ناحية، وغمرة الصراع من ناحية، نشأت طائفة من الأدباء بلغت حدًا طيبًا من الثقافة والوعي، وتفتّح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما أتاحه للفرد من شعور بذاته، هذا الشعور الذي ظل مفقودًا أمدًا طويلًا، حتى ردته المعرفة والحرية النسبية والتطلع إلى المشاركة في الكفاح من أجل الاستقلال والرقي الحضاري الذي ينشدونه، والتفت هؤلاء الأدباء إلى وجدانهم يرقبون من خلاله عالمهم المتغير ويُعبّرون عن تجاربهم الفردية ومشاعرهم الذاتية بأساليبَ فيها كثيرٌ من الحدة العاطفية والخيال الجامح والصور المستحدثة والمعجم الجديد[١] .

ومن بين الخصائص التي تميّز بها شعراء هذا الاتجاه الرومانتيكي[٢] الدعوة إلى المثل العليا؛ فالشاعر الوجداني أو الرومانتيكي يعتقد أنه صاحب رسالة تقوم على مُثل

---

[١] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة القاهرة – ١٩٨٨ – ص٩.

[٢] هي حركة فنية، أدبية وفكرية نشأت في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد وسرعان ما راجت في بلدان أوروبية أخرى، وبخاصة إنجلترا وألمانيا وإسبانيا حتى وصلت لذروتها في الفترة ما ←←←

عليا من الأخلاق والسلوك لا سبيل إلى سعادة المجتمع بدونها ، وهو مدفوع إلى بلاغ هذه الرسالة بما يحس في وجدانه من وجود روحي يحن إلى عالمه الروحي القديم، ويسمو به على شهوات الحياة الدنيا وأطماعها ، ويفتح عينيه على ما في حياة الناس حوله من انعدام المحبة والتعاطف ، والسعي وراء المال والجاه ، وعلى ما في مجتمعه من مآسي الفقر والظلم ومظاهر الدمامة[١] .

وقد عبر معظم شعراء الاتجاه الرومانتيكي عن إحساسهم بذلك الوجود الروحي ، وعن اتصال الشاعر الوجداني بالسماء التي هي مصدر المثل العليا[٢]

يقول علي محمود طه في ديوانه الأول الملاح التائه :

هبط الأرض كالشعاع السَّني ∴ بعصا ساحرٍ وقلبِ نبيٍّ

لَمحة من أشعة الرُّوح حلت ∴ في تجاليد هيكل بشري

ألهمت أصغريه من عالم الحكمة ∴ والنور كل معنى سريّ[٣]

ويقول ميخائيل نعيمة مخاطبًا روحَه :

إنْ رَأَيْتِ الفَجْرَ يَمْشِي خِلْسَةً بَيْنَ النُّجُومْ

→→→

بين .1840–1800 تؤكد الرومانسية بأن قوة المشاعر والعواطف والخيال الجامح هو المصدر الحقيقي والأصيل للتجارب الجمالية . ينظر : *https://ar.wikipedia.org*

[١] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٢٨٢.

[٢] المثل الأعلى هو مبدأ أو قيمة يسعى الإنسان إلى تحقيقها بصفتها هدفًا من أهدافه، ويمنحها الأولوية على الاهتمامات أو الشؤون الأخرى التي تتميز بقيمة معنوية أقل.

[٣] علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – موسسة هنداوي للتعليم والثقافة – ط١ – ٢٠١٢م – ص١٧ .

ويُوشِّـــي جُبـــةَ اللَّيْـلِ المُوَلّـــي بالرُّسُـومْ

يَسْمَعُ الفَجْرُ ابْتهَالاً صَـاعداً مِنْك إلَيْـهْ

وتَخِـــرِّي كَنَبِـــيٍّ هَـــبَطَ الْـــوَحْيُ عَلَيْـــهْ

بخُضُـــــــــــــوعٍ جَاثـــــــــــــيَه[1]

فالشاعر يصور نفسه – لحظة انعتاقه من أسر الحياة المادية وخلوه بنفسه وتضرعه إلى خالقه، وقد صفت نفسه من كل أكدارها – بنبيّ يتنزل الوحيُ عليه في ساعات السَّحر الذي امتد حتى اختلج بأول الفجر، وشاعرنا يرصد صفاء روحه في تلك الأوقات .

ويقول إيليا أبو ماضي مشيرًا إلى كنه الشاعر وحقيقته :

إنـــه روحُ كـــريمٍ لـــبسَ الطـــينَ المهينـــا

ونبـــيٌّ بَهـــرَ الخلـــق ، ومـــا أعلـــن دينـــا

يلمـــح الـــنجم خفيًـــا ويـــرى العطـــر دفينًـــا

ويحس الفرح الأسمى جريحًا أو طعينًا[2]

فروحه روح نبي دائم الاتصال بالسماء، لم يعكر صفوها ذلك الجسد المخلوق من طين الأرض، يرمق بعيني روحه الحياة فيدرك ويحس ما لا يحس غيره، ويستشعر الفرح في أحلك لحظات الحزن وأقساها .

وقوله مرة أخرى متحدثا باسم الشعراء:

كـــم خفضـــنا الجنـــاح للجاهلينـــا

---

[1] ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢م – ص٢٠.

[2] إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.aldiwan.net/poem62789.html

وعـــــذرناهم فمـــــا عـــــذرونا
خبـــروهم يـــا أيهـــا العاقلونـــا
إنمـــا نحـــن معشـــر الشـــعراء
يتجلـــى ســـر النبـــوة فينـــا[١]

وقول الشابي مشيرا إلى الشاعر في قصيدته " النبيُّ المجهول " :

جهـــل النـــاس روحـــه وأغانيهـــا ∴ فســـاموا شـــعوره ســـوم بـــخسِ
فهـــو فـــي مـــذهب الحيـــاة نبـــي ∴ وهـــو فـــي شـــعبه مصـــاب بمـــسِّ
هكـذا قـال ثـم سـار إلـى الغـاب ∴ ليحيـا حياةَ شعرٍ وقدسِ[٢]

وقوله مشيرًا إلى عالم الروح الأول :

يا إله الوجود هذي جراح
في فؤادي تشكو إليك الدواهي
أنت أنزلتني إلى ظلمة الأرض
وقد كنت في صبـــاح زاه
كالشعاع الجميل أسبح في الأفق
وأصغي إلى خرير المـاء
وأغني بين الينابيع للفجـــر
وأشـــدو كالبلبل المتباه
أنت أوصلتني إلى سبل الدنيا

---

[١] إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.klmat.com

[٢] أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – قدم له وشرحه أ/ أحمد حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٤م – ص٩٥ .

وهـــذي كثيرة الاشتباه[1]

ومنه قول فوزي المعلوف مشيرا إلى دور الشعراء:

أنتَ يا روحَهم من النّورِ ذراتٌ
أضاءت في الكونِ عالمَيْهِ
تصل الأرض والسماء بنهر
غمر الحسن والهوى ضفّتيهِ
لستِ من عالم التراب وإن كنت
تقمصت بالتراب عليـــهِ
أنت من عالم بعيد عن الأرض
يفيض الجلال عن جانبيــهِ[2]

والشاعر الوجداني شاعر ذو وجهة أخلاقية تدين انحراف النفس البشرية ، ويقارن بينها وبين نقاء عناصر الطبيعة وبذلها بلا انتظار جزاء ، يقول إيليا أبو ماضي وقد سألته سائلة عن مذهبه :

أَنَـا آدَمِـيٌّ كَـانَ يَـحْسَـبُ أَنَّـهُ
هُوَ الْكَائِنُ الْأَسْمَى وَشِرْعَتُهُ الْفُضْلَى
وَأَنَّ لَـهُ الدُّنْيَا الَّتِي هُوَ بَعْضُهَا
وَأَنَّ لَـهُ الْأُخْرَى إِذَا صَـامَ أَوْ صَـلَّى
أَمُنُّ عَلَـى الصَّادِي إِذَا مَـا سَقَيْتُهُ
وَأُلْزِمُـهُ شُكْرِي، وَلَسْتُ أَنَـا الْوَبْلَا
وَأُزْهِـي إِذَا أَطْعَمْتُ جَوْعَانَ لُقْمَةً
كَأَنِّـي خَلَقْتُ الْحَبَّ فِي الْحَقْلِ وَالْحَقْلَا
تَـتَلْمَذْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدَّهْرِ حِقْبَةً

[1] أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – ص١٧٨-١٧٩ .

[2] https://albaleegh.com/poet

فَلَقَّنَنِي غَيًّا، وَعَلَّمَنِي جَهْلَا
نَـهَانِـيَ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَعِنْدَمَا
رَأَى غِرَّةً مِنِّي تَـعَلَّمَ بِـي الْقَتْلَا!
وَذَمَّ إِلَـيَّ الـرِّقَّ ثُـمَّ اسْـتَـرَقَّنِـي
وَصَـوَّرَ ظُلْمًا فِيـهِ تَمْجِيدَهُ عَدْلَا
وَكَادَ يُرِينِي الْإِثْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَى
وَكُلَّ نِظَامٍ غَيْرَ مَا سَنَّ مُخْتَلَّا
فَصَارَ الْوَرَى عِنْدِي عَدُوًّا وَصَاحِبًا
وَأَنْفُسُهُمْ صِنْفَيْنِ: عَلْيَاءَ أَوْ سُفْلَى
وَصِرْتُ أَرَى بُغْضًا وَصِرْتُ أَرَى هَوًى،
وَصِرْتُ أَرَى عَبْدًا وَصِرْتُ أَرَى مَوْلَى
وَيَا رُبَّ شَرٍّ خِلْتُهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ
وَيَا رُبَّ خَيْرٍ خِلْتُهُ نَكْبَةً جُلَّى
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ النَّجْمَ يَطْلُعُ فِي الدُّجَى
لِذِي مُقْلَةٍ حَسْرَى وَذِي مُقْلَةٍ جَذْلَى
وَشَاهَدْتُ كَيْفَ النَّهْرُ يَبْذُلُ مَاءَهُ
فَلَا يَبْتَغِي شُكْرًا وَلَا يَدَّعِي فَضْلَا
وَكَيْفَ يَزِينُ الطَّلُّ وَرْدًا وَعَوْسَجًا
وَكَيْفَ يُرَوِّي الْعَارِضُ الْوَعْرَ وَالسَّهْلَا
وَكَيْفَ تُغَذِّي الْأَرْضُ أَلْأَمَ نَبْتِهَا
وَأَقْبَحَهُ شَكْلًا كَأَحْسَنِهِ شَكْلَا
فَأَصْبَحَ رَأْيِي فِي الْحَيَاةِ كَرَأْيِهَا

وَأَصْبَحْتُ لِي دِينٌ سِوَى مَذْهَبِي قَبْلَا[1]

لذلك عانى الشاعر الوجداني في تشبثه بمثله العليا وحنينه إلى عالمه الروحي أزمة مزدوجة ، يتصل جانب منها بالمجتمع ويتصل جانب بوجوده الباطني وما يدور فيه من صراع بين الجسد والرح والشر والخير، أو بين الطين والنور كما يعبر الشعراء الوجدانيون، وهو في شغفه بالجمال البشري والطبيعي ونفوره من الدمامة في الأخلاق والسلوك والصلات الاجتماعية وبغضه للفقر والظلم وغلظة الطبع لا يصدر عن مفهوم سياسي أو فلسفة اجتماعية ، بل يدرك ما في مجتمعه من متناقضات بوجدان مرهف يجد في كل هذه المظاهر رذائل خلقية واجتماعية يدينها بمعيار خلقي وإنساني في المحل الأول .

وإذا كان هذا هو موقف الشاعر الوجداني من المجتمع فإن له موقفا مشابها مع نفسه فهو في صراع دائم بين رغباته ومثله وبين طموحه المشروع وما يشهد من وسائل غير مشروعة ينتهجها الناس لتحقيق أطماحهم ، وهو يعيش مشدودًا بين عالمينِ من المثال والواقع، يميل إلى هذا تارة وإلى ذاك تارة أخرى مزهوًا بعصمته إذا استطاع الصمود معذبا بالإثم والندم إذا زلت به القدم ، كما في قول علي محمود طه :

لقد دنَّسَ الجسَدُ الآدميّ
حياةً حَرَصْتَ على طُهْرِهَا
بكى الفنُّ فيكَ على شاعرٍ
تسائِلُهُ الروحُ عن ثَأْرِهَا
نزلتَ بها وَهْدَةً كم خبا
شُعاعٌ وغُيِّبَ في قبرِهَا
رفعتَ تماثيلَكَ الرائعاتِ
وحَطَّمْتَهُنَّ على صَخْرِهَا

[1] إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.hindawi .org

فدَعْ زهرةَ الأرض يا ابنَ السماءِ،

فأنتَ المبرَّأُ من شرِّهَا

مراحُك في السُّحُبِ العالِيَاتِ

وفوق المنَوِّرِ من زُهْرِهَا

فَمُدَّ جَنَاحَيْكَ فوق الحياةِ،

وأطْلِقْ نشيدَك في فَجْرِهَا[١]

وكما في قول إلياس أبو شبكة :

رباهُ عَفوَكَ إنّي كافِرٌ جانِ
جَوَّعتُ نَفسي وَأَشبَعتُ الهَوى الفاني
تَبِعتُ في الناسِ أَهواءً مُحَرَّمَةً
وَقلتُ لِلنّاسِ قَولاً عَنهُ تَنهاني
وَلم أُفِق مِن جُنونِ القَلبِ في سُبُلي
إِلا وَقَد مَحَتِ الأَهواءُ إيماني
رَبّاهُ عَفوَك إِنّي كافِرٌ جانِ
لَكَم دَعَتني إِلى الفَحشاءِ أَميالُ
وَأَنذَرَتني تَجاريبٌ وَأَهوالُ
إِن التَجاريبَ لِلأَلبابِ مَوعِظَةٌ
لكِنَّها لِأُلي الأَضلالِ أَضلالُ
تِلكَ اللَيالي المواضي لا يَزالُ لَها
بَينَ الخَرائِبِ في عَينَيَّ أَطلالُ
وَآحسرَتاه وَقَلبي لا يَزالُ لَهُ

[١] علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – ص١٦٠ .

في لَذَّةِ العارِ أَوطارٌ وَآمالُ[1]

ونستطيع أن نلمس تلك الدعوة إلى المثل العليا في أكثر من صورة ، فبوسعنا أن نجدها في الثورة على التقاليد القديمة، والدعوة إلى الحرية، والانشغال بقضايا الوطن، والحنين إلى الماضي بكل ما يحويه من أمجاد للقدماء، وفيما يلي عرض لتلك الصُّور، من خلال شعر فهد العسكر .

أسباب اختيار الموضوع

المثل العليا مطلب ينشده كل إنسان، وقد دعت إليه المذاهب الفنية والاتجاهات النقدية من لدن أفلاطون حتى عصرنا الحديث، وقد ظهرت الدعوة إليها عند الشاعر الكويتي فهد العسكر لا سيما في بداياته الفنية حيث تمثل ذلك في مظاهر عدة من شعره.

المنهج المتبع في الدراسة

المنهج الذي ارتأيته مناسبًا لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي؛ حيث إن البحث سيتطلب قراءة النصوص وتحليلها للوقوف على أصول الرومانتيكية في شعر فهد العسكر، وقد حاولت جاهدًا سبر أغوار شعره ؛ للإحاطة بكل هذه الأصول قدر جهدي وساعدني في ذلك ذاتية الشاعر إلى حد كبير ، بالإضافة إلى ولعه بالطبيعة وحبه للمثل العليا.

أهم الدراسات السابقة

– فهد العسكر حياته وشعره لعبد الله زكريا الأنصاري . جمع فيه الكاتب ما تبقى من شعر العسكر الذي فقد منه جزء قد تعرض للإحراق من قبل أقاربه .

– معصية فهد العسكر لعقيل يوسف عيدان . يبرز فيه الكاتب أصول الوجودية وملامحها عند فهد .

وكلا الكتابين بعيدان كل البعد عن هذا البحث الذي ينقب عن المثل العليا عند فهد العسكر .

---

[1] إلياس أبو شبكة – أفاعي الفردوس – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٤م – ص٤٣ .

السيرة الذاتية لفهد العسكر[١]

فهد العسكر شاعرٌ كويتيٌ أثار جدلًا كبيرًا في الكويت والخليج العربي منذ بداية كتابته للشعر، ويُعتبر واحدًا من كبار الشعراء الكويتيين الذين دعوا إلى التجديد والانفتاح على العالم الخارجي، نشأ في بيئةٍ محافظة تهتم بأمور الدين، مما ساهم في زيادة حبّه للغة العربية وشغفه بقراءة كتابات أهم الشعراء العرب على مرّ التاريخ.

تتلمذ على يدي الشاعر محمود شوقي قبل أن يشق طريقه بنفسه متبعًا أسلوبًا فريدًا خاصًا به، فكان مدرسةً أدبيةً وشعريةً، ولم يتبق من أشعاره إلا ما جمعه أصدقاؤه المقربون، والتي تحكي قصة عزلته وحياته البائسة؛ حيث تُوفي وحيدًا منعزلًا عن الناس بعد أن اختار الابتعاد عن أهله.

بدايات فهد العسكر

وُلد الشاعر فهد بن صالح بن محمد بن عبدالله بن علي العسكر الظفري المشهور باسم فهد العسكر في عام ١٩١٧م في الكويت، كان والده إمام جامع ومدرسًا للقرآن الكريم، فنشأ فهد على تعاليم الدين وأحكامه، وفي عام ١٩٢٢م التحق بالمدرسة المباركية وهي أول مدرسة حكومية تُبنى في الكويت، ثمَّ التحق بالمدرسة الأحمدية.

إنجازات فهد العسكر

بدأ شغف فهد العسكر بالشعر والأدب منذ تواجده في المدرسة المباركية، حيث قرأ شعر المتنبي وأبي تمام والفرزدق، في بداياته تعلّم على يدي الشاعر الكبير محمود

[١] ينظر معصية فهد العسكر – عقيل يوسف عيدان – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م – ص٢٠٥ وما بعدها – وينظر أيضا https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar

شوقي، ثمَّ وضع نهجه الخاص في كتابة الشعر المعاصر ليكون من أوائل شعراء التنوير في الكويت.

في تلك الفترة كان يقرأ كل ما تقع عليه يده من كتبٍ فلسفيةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ واجتماعية، ما أكسبه مزيدًا من الثقافة والانفتاح الذي كان يزداد وضوحه بالتدريج في أشعاره، وبدأ يواجه نظرات المجتمع غير المتقبلة لآرائه وأفكاره، وبالرغم من ذلك لم يرضخ للعادات واستمرَّ في تمرده وكتابة القصائد الناقمة على مجتمعه.

ازدادت شهرة فهد العسكر ووصلت إلى المملكة العربية السعودية، عندما مدح الملك الراحل عبد العزيز آل سعود بإحدى قصائده، وقام بغنائها وتلحينها المطرب عبد اللطيف الكويتي، فسمع الملك بالقصيدة وطلب مقابلة فهد العسكر وعيّنه كاتبًا لدى الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، إلّا أنَّ فهد لم يحتمل العيش خارج بلاده، وطلب السماح له بالعودة إلى الكويت.

بالرغم من محبة والديه وتأمينهم له حياةً مريحةً في منزلهم، تعرّض فهد للكثير من العنت من قبل الرافضين لفكره، وقد عبّر في إحدى قصائده عن حالة الاستياء والانعزال التي وصل إليها قائلًا :

نصـيبك يـا نفسـي شـقاء وحرمـان ∴ وحظـي مـن الأيـام زور وبهتـان[1]

قرر فهد العسكر بعد وفاة والده أن يعيش وحيدًا؛ ليتفرغ لكتابة الشعر، وهنا بدأت معاناته الجديدة مع والدته وشقيقه حيث رفضا رغبته في حصوله على ميراثه من والده، وقد كتب قصيدة تعبيرًا عن حزنه من فعل والدته، وشكا فيها الوحدة والألم يقول فيها:

كُفّي الملام وعلليني

[1] وهذه القصيدة ليست من بين قصائده التي جمعها الأنصاري ويظهر أنه أعدمها مع القصائد الأخرى التي كان يخفيها عن الناس، وقيل إن أهله أعدموها. ينظر http://www.3rbi.info/Article.

فالشكُّ أودى باليقين

وتناهبت كبدي الشجونُ

فمن مجيري من شجوني؟

وأنا السجينُ بعقرِ داري

فاسمعي شكوى السجينِ[١]

انفصل بعد ذلك عن والدته وشقيقه وانتقل للعيش بمفرده، حيث أمضى سنواته الأخيرة منعزلًا عن المجتمع، وفقد بصره، ولم يكن يزوره إلا بعض الأصدقاء وفي بعض الأحيان والدته، ولم يكتب في تلك الفترة سوى قصيدة واحدة مدح فيها الأمير الحادي عشر للكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح، وقال فيها:

جاءَ الربيعُ وأنت راقد

قم واشدُ يا ربَّ القصائد

وكانت تلك القصيدة آخر ما كتبه قبل أن يقضي نحبه .

وفاة فهد العسكر

أُصيب فهد العسكر بمرض السُّلّ، وعانى في أيامه الأخيرة من فقدان البصر حتى تُوفي في الخامس عشر من شهر أغسطس سنة١٩٥١م في مستشفى الأميري بالكويت، في الرابعة والثلاثين من عمره .

[١] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٩٧م – ص١٢٧ .

صلّى على جثمانه إمام جامع المديرس الشيخ عثمان عيسى العصفور، بغياب كامل لعائلته؛ حيث لم يحضر جنازته أكثر من خمسة أشخاص، ودُفن في المقبرة العامة.

وبعد وفاته أحرق أقاربه جميع مؤلفاته وأشعاره ولم يبق منها إلا ما حفظه أصدقاؤه ومحبوه، حيث جمعها الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري الذي نشر في عام ١٩٥٦م كتابًا يتحدث عن السيرة الذاتية للشاعر فهد العسكر، ويضم ما تبقى من أشعاره .

كرمته مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في عام ٢٠٠١ بإصدار جائزةٍ شعرية باسمه، كما صدر في عام ٢٠٠٩ طوابع بريدية باسمه تخليدًا لذكراه.

المبحث الأول

الحرية والثورة على تقاليد المجتمع

الحرية والثورة على التقاليد صورة من صور الدعوة إلى المثل العليا، لا سيما التقاليد التي أورثها الجهل، وشعر العسكر عن الحرية قل أن يتخذ صورة إيجابية ترسم معالم الحرية التي ينشدونها ، لكنه بدلا من ذلك يتحدث عن إحساسه بفقد الحرية ويعبرعن ضيقه بوطأة المجتمع وأسر التقاليد وتطلعه إلى الانطلاق من قيود تلك التقاليد الصارمة.

ولعل مأساة العسكر تنجم عن كونه شاعرًا قد برز نجمه وسطع في بداية حياته الشعرية، فأحس بالتفوق على أقرانه؛ لما قوبل به من الحفاوة و التكريم، فلما أذاع ما أذاع من أفكار تتصادم وقيم المجتمع، لم يتقبل ما وجه إليه من نقد، بل تمادى في ما كان سببًا في هجوم الناس عليه، مؤثرًا العزلة مكتفيًا بجمهوره الذي يشعر بقيمته كشاعر موهوب، و يتردد عليه في أمسياته الشعريه التي كان يعقدها في بيته – كما أُثر عنه – .

وهذه الدائرة التي صنعها العسكر حول نفسه مفضلًا العزلة عن الرضوخ إلى قيم المجتمع و عاداته هي الأنا المحاصرة[١] الأنا المنطوية على خطيئتها، و لكن الشعور بالتميز و التفرد على كل من حوله يمنعه من الانصياع لتوجيهات من هم دونه في المنزلة – فيما يرى – .

---

[١] د/ وليد منير – جدلية اللغة و الحدث في الدراما الشعرية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٧ – ص ٦٢ .

وقصيدته التي مطلعها (كُفّي المَلام) خير شاهد على ما انتاب الشاعر من آلام وأحزان جرّاء ما يرمونه به من مجون وكفر، إلا أن شاعرنا لا زال متمسكًا بآرائه ثائرًا على من حوله وما حوله من أمور تتنافى وروحه وما جبل عليه .

يقول العسكرُ مخاطبًا أمَّه في مطلع القصيدة :

كُفّـــي المـــلامَ وعَلّلينـــي ∴ فالشَـــكُّ أودى بـــاليقينِ
وتناهَبَـــت كبـــدي الشـــجونُ ∴ فمـــن مجيـــري مـــن شـــجوني
وأمضّـــني الـــداء العيـــاء ∴ فمـــن مُغيثـــي مـــن معينـــي
أيـــنَ التـــي خُلِقَـــت لتَهـــ ∴ وانـــي وباتَـــت تجتَـــويني
أُمّـــاهُ قـــد غَلَـــبَ الأسـى ∴ كُفّـــي المـــلامَ وعلّلينـــي
وأنـــا الســـجينُ بعقـــرِ داري ∴ ترَفّقـــي لا تعـــذُليني
أرهَقـــتِ روحـــي بالعتـــابِ ∴ فأَمسِـــكيه أو ذَرينـــي
أنـــا شـــاعرٌ أنـــا بـــائسٌ ∴ أنـــا مســـتهامٌ فاعـــذُريني
أنـــا مِـــن حنينـــي فـــي جحـــيم ∴ آهٍ مـــن حـــرّ الحنـــينِ
أنـــا تائـــه فـــي غيهَـــب ∴ شـــبحُ الـــردى فيـــه قرينـــي
ضـــاقَت بـــيَ الـــدنيا دَعينـــي ∴ أنـــدبُ الماضـــي دَعينـــي
اللّـــه يـــا أمّـــاهُ فـــيّ ∴ فاســـمَعي شـــكوى الســـجينِ[1]

وهكذا كان شعور العسكر بموهبته و تفوقه الفكري كان أحد العوامل الذي جعلته يفضل العزلة عن الاستجابة لمطالب المجتمع، نلمس هذا الزهو وذلك التفرد

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – ط الخامسة – ١٩٩٧م – ص١٢٧ .

عن أبناء مجتمعه في قوله (أنا شاعر) وفي تكراره لضمير المتكلم (أنا) ما يشير إلى إيمان الشاعر بتميزه ، وهو ما يستجلب حتمًا الثورة على المجتمع .

وكما نرى العسكر مزهوًّا بعبقريته الشعرية يشعر بتميزه وبما تهيئه له الموهبة من تفرد ، نراه يحس أنه مغبون مهضوم الحقوق لم يبلغ من المكانة ولم ينل من الاعتراف ما هو جدير به ، فالحياة لا تنصف (على حد تعبيره) أمثاله من الموهوبين بل تغدق عطاءها على من يجيدون الزيف والاحتيال .

وطَنـــي ومـــا أقســـى الحيـــاةَ ∴ بـــهِ علـــى الحُـــرّ الأمـــين
وَأَلَـــذُّ بـــينَ رُبوعـــهِ ∴ مـــن عيشـــتي كـــاسُ المنـــونِ
قـــد كنـــتَ فـــردوسَ الـــدخيل ∴ وجنّـــةَ النّـــذلِ الخئـــونِ
لَهَفـــي علـــى الأحـــرارِ فيـــك ∴ وهـــم بأعمـــاقِ السجـــون
ودُمـــوعُهُم مُهَـــج وأكبـــادٌ ∴ تَرَقـــرَقُ فـــي العيـــونِ
مـــا راعَ مثـــلُ الليـــثِ يُـــؤسَ ∴ ـــرُ وابـــنُ آوى فـــي العـــرين
وطَنـــي وأدتُ بـــكَ الشـــباب ∴ والغُـــرابُ علـــى الغُصـــونِ
والبُلبُـــلُ الغريـــدُ يهـــوي ∴ وكـــلَّ مـــا ملَكَـــت يَمينـــي
وقَبَـــرتُ فيـــكَ مـــواهبي ∴ واســـتَنزَفَت غُللـــي شُـــؤوني
ودَفَنـــتُ شـــتّى الـــذكرياتِ ∴ بِغـــورِ خـــافِقِيَ الطعـــينِ
وكسَـــرتُ كأســـيَ بَعـــدَما ∴ ذابَـــت بأحشـــائي لحـــومي
وســـكَبتها شـــعراً رثيـــتُ ∴ بـــهِ الـــروح الحَـــزينِ
وطَوَيتُهـــا صُـــحُفاً ضَنَنَـــ ∴ ـــتُ بهـــا ومـــا أنـــا بالضـــنينِ

وَرجعـــتُ صـــفرَ الكـــفِّ مُنـــ ∴ ـــطَوِياً علـــى ســـرٍّ دَفـــينِ
فلأنـــتَ يـــا وَطنـــي المـــدينُ ∴ ومـــا هـــزارُكَ بالمـــدينِ
وَطَنـــي ومـــا ســـاءَت بِغَيـــر بـــن ∴ يـــكَ يـــا وَطنـــي ظُنـــوني
أنـــا لَـــم أجـــد فـــيهم خَـــديناً ∴ آهِ مَـــن لـــي بالخـــدينِ
واضَـــيعةَ الأمـــلِ الشـــريد ∴ وخَيبـــةَ القلـــبِ الحَنـــونِ
رقَصـــوا علـــى نـــوحي وإعـــوا ∴ لـــي واطـــرَبَهُم أنينـــي
وتَحـــامَلوا ظُلمـــاً وعـــذواناً ∴ علـــيّ وأرهقـــوني
فعـــرفتهُم ونَبَـــذتُهُم ∴ لكـــنّهم لـــم يعرفـــوني
وهنـــاكَ مـــنهُم معشـــرٌ ∴ أُفٌّ لهُـــم كـــم ضـــايَقوني
هـــذا رمـــاني بالشـــذوذِ ∴ وذا رمـــاني بـــالجنونِ
اللَـــهُ يشـــهدُ لـــي ومـــا ∴ بالخلاعـــةِ والمجـــون
وتطـــاولَ المتعصّـــبون ∴ ومـــا كفَـــرتُ وكفّرونـــي
وأنـــا الأبـــيُّ الـــنفسِ ذو ∴ الوجـــدانِ والشـــرفِ المصـــونِ
وهُنـــاكَ مِـــنهُم مـــن رمـــاني ∴ أنـــا بالـــذليلِ المســـتكينِ

ومن ملامح الثورة على التقاليد والتي تعد في ذات الوقت دعوة إلى المثل ما نراه في قصيدة العسكر " نوّحي " حيث ينتقد فيها العسكر أساليب الزواج التقليدية في المجتمع، فيخاطب حبيبته ليلى التي زوجوها رجلًا غنيًّا يكبرها سنًّا، ويصف كيف حالت الفروق بينه وبين حبيبته وما اشتملت عليه نفوس المحبين من التياعٍ وألمٍ إِثْرَ

هذا الفراق ، وكيف لعبت ثنائية الفقر والغنى دورا في الحيلولة بين كثير من المحبين . يقول العسكر :

ليلايَ يا نجوايَ يا دُنيايَ يا أمَلي الوحيد

طَوتِ الفُرُوقُ بساطنا وتنكَّر العيشُ الرّغيدْ

والذكرياتُ مطلّةٌ من كُوَّةِ الماضي البعيد

ترنو لحاضِرنا الشقيِّ وتندبُ الماضي السعيدْ

يا بنتَ من وأد الفضيلةَ بين أحضانِ الرذيلة

وطغى فراح يبلُّ من دم كلِّ منكوبٍ غليلهْ

لَهَفي على تلك المشاعر والأحاسيسِ النبيلة

وعلى جمالِكِ والشّبابِ الغضِّ لهفي يا خميلة

ياللشراسةِ والرعونةِ والحماقةِ والجهالةْ

ياللدناءةِ والسفاهةِ والسفالةِ والنذالةْ

باعوكِ بالثمن الزَّهيد فأين يا ليلى العدالةْ

وسَقَوكِ كأسًا ملؤها صاب الأسى حتى الثُّمالةْ

زجّوك وا أسفاهُ في سجنِ التقاليدِ القديمةْ

للهِ ما كابدتِ فيه من الأساليبِ العقيمةْ

لا در درُّك من أب فظٍّ ووالدة لئيمةْ

يا قاتل اللهُ التعصّب كم تمخَّضَ عن جريمة

حجبوكِ عن عيني وعين القلبِ تخترقُ الحجابْ

فليوصِدوا سُحقًا لَهُمْ بيني وبينكِ ألفَ بابْ

حربٌ وكم يا ربِّ أعلنها الثعالبُ والذئابْ

تُذكي المطامعُ نارُها ووقُودُها مُهَجُ الشباب

قد أرغموكِ على الزواجِ بذلك الشيخِ الوضيعْ

أغْرَاهمُ بالمالِ وهوَ المالُ معبودُ الجميع

فقضوا على آمالنا وجنوا على الحبِّ الرفيعْ

ما راعَ مثلُ الوردِ يذْبُلُ وهو في فصلِ الربيعْ

زُفَّت وهلْ زُفَّتْ فتاةُ الحيِّ للزوجِ الحبيبْ؟

هل أخفَقَت أم حقَّقتْ بزفافها الحلْم الذَّهيبْ

وارحمتاهُ لها فقد زُفَّتْ إلى الِّسجنِ الرهيبْ

وغَدَت بهِ نهْبَ الجوى والشَّجْوَ والهمِّ المُذيب

هل كانَ في استقبالها فيه سِوى شَبَح الرَّدى

قَد أُدْخِلت ليلًا عليهِ فكان ليلًا سَرْمَدا

شُلَّتْ يداهُ فكمْ بها عاثَت ألا شُلَّت يدا

وحسا على صرخاتها دَمَها الزكيَّ وعربدا

أَوَ كانَ أهلُكِ يا فتاتي والأقاربَ والصِّحابْ

إلا الأراقم والعَقاربَ والثعالبَ والكلابْ

قد شيَّعوكِ فخَبِّريني بعدَما طُويَ الكِتابْ

ماذا لقيتِ بذلك القَبر المخيفِ من العَذاب

ليلى وما الدُنيا سِوى نارِ الكريمةِ والكريمْ

أوَّاهُ من داءٍ قد استشرى وَجُرْحٍ في الصَّميمْ

رَبّاهُ رِفقًا بالجديدِ فكمْ شكا جَوْرَ القديمْ

وطَغَتْ أبالِسةُ الجحِيمِ على ملائكةِ النعيم

يا للمهازلِ والجرائِمِ والمآسي والمساخر

غَدَتِ العذارى كالعقائدِ والمبادئ والضَّمائِر

سِلَعًا تُباعُ وتشترى علنًا بأسواقِ الحَواضِر

والرَّابحون بها لهُمْ منّا التّهاني والبشائِرْ[١]

هذه القصيدة تعد من عيون القصائد الرومانتيكية؛ حيث حقق فيها العسكر كل ما دعوا إليه من صدق التجربة، وذاتيتها، والثورة على موروثات المجتمع العقيمة البائدة – أو التي ينبغي لها أن تبيد – والتي تتنافى وروح العصر، استهلها العسكر بحديثه إلى ليلى تلكم الفتاة البائسة؛ لأنها – وإن كانت في عنفوان شبابها وبهجته – قد أرغمت على الزواج من شيخ كبير ولكنه ثريٌّ ، والأب البائس – تحت وطأة الحاجة – قد رضخ لسلطان الغنى الذي يذل أنوف الفقراء ويقهرهم بسطوته ، يتحدث العسكر إلى ليلى، وكيف كانت ملهمته وسلواه ومصدر سعادته الوحيد في هذه الحياة؟ وقد حالت بينهما التقاليد؛ فالزواج أصبح تجارةً وعطاءً يرسو على من يملك المال ويدفع أكثر، وراح يندب ذلك الجمال والشباب الذي بيع بالمال، وهو في الحقيقة أغلى وأثمن من كل الكنوز ، وتوجه بحديثه إلى ذلك الأب وتساءل كيف سولت له نفسه أن يفرط في فلذة كبده من أجل عرض من المال؟ وكيف لهذه الأم قد انسلخت من

[١] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – ط الخامسة – ١٩٩٧م – ص١٧١– ص١٧٣ .

أمومتها وباركت تلكم الزيجة المشئومة؟ وأخذ يتأسف على تلك الفتاة التي زجت في سجن التقاليد البائسة التي أعلت من شأن المال وخفضت من شأن العاطفة ولم تأبه للحبيبين ولم تنظر لهما بعين الشفقة .

وبرغم أن الحدث المرتقب هو الزواج – بكل ما يحمله الحدث من معاني البهجة في أصل معناه – ولكنه زواج مشئوم بين فتاة في مقتبل العمر وريعان الشباب، وبين شيخ طاعن في السن، قد أحنى الزمن ظهره وأوهى عظامه ، لذا نجد العسكر قد شحن قصيدته بجملة من الألفاظ التي تنم عن الحزن والأسى وكأنه مشهد جنائزي فوصف بيت الزوجية بالسجن الرهيب تارة ، وبالقبر المخيف تارة أخرى ، ونرى صورًا معبرة عن هذه المأساة مفعمة بالألم والحسرة ، مثل شبح الردى والهم المُذيب، وتتعالى الصرخات والآهات في لوحة مأساوية سُطرت بمداد من دم قانٍ على جدران مقبرة مظلمة .

إنه المال بسلطانه الذي استطاع – على حد وصف الشاعر – أن يشتري المبادئ والعواطف والعقائد وكل المعاني الجميلة التي تستقر في الوجدان فلا يمكن نزعها البتة، وهو في خطابه عن الأغنياء يتجه بحديثه إلى ضمير المجتمع وإلى حسه الإنساني ، وإذا سخر منهم فإنه يسخر من الطبيعة الشائهة التي تأذن للمال أن يستعبد الناس ، وكيف استطاعت شهوة السيطرة على الفقراء الضعفاء أن تطمس معالم الرحمة في نفسه، فراح المال بنفوذه يسيطر على المجتمع وراح يسرق حق الفقراء في الحياة ، فسلب الضحك من شفاههم، ونزع السعادة من قلوبهم ، فهيمن على كل سبل الحياة المادية والروحية .

المبحث الثاني

الانشغال بقضايا الوطـن

يقول العسكر مخاطبا أمته العربية :

يا بني العُرْبِ إنَّما الضُّعْفُ عَارٌ
أيْ وَربي سَلُوا الشُّعوبَ القَويَّه
كم ضَعيفٍ بَكى ونادى فَراحت
لِبُكاهُ ثُقَهْقِه المدْفَعيَّه
لغةُ النارِ والحديدِ هي الفُصْحى
وَحَظُّ الضَّعيفِ منها المنيَّه
ها هيَ الحَرْبُ أَشْعَلُوها فَرُحُماكَ
إلهي بالأُمَّةِ العَربيَّه
يا بني الفَاتِحينَ حَتَّامَ نَبْقَى
في رُكودٍ أَيْنَ النُّفوسُ الأَبيَّه
غُيْرُنا حَقَّقَ الأَماني وبِتْنَا
لمْ نُحقِّقْ لنَا ولا أُمْنيَّه
فمنَ الغَبْنِ أَن نَعيشَ عَبيداً
أَيْنَ ذاكَ الإباءُ أَيْنَ الحَمِيَّه[١]

ثاني مظاهر الدعوة إلى المثل العليا هي الانشغال بقضايا الوطن، وهذا الغرض من أغراض الشعر وثيق الصلة بحياة العسكر وشعره ، فنجده مبثوثا في كثير

[١] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٣– ١١٤ .

من قصائده، والحرية القومية تتمثل عند الشاعر العربي في قضايا التحرر والاستقلال، وهي ألصق بالوجه الإيجابي الذي يعبر عن إحساس الشاعر بقيم العزة والوطنية والانتماء ، والشاعر يحس إزاءها بأنه يستطيع أن ينسى موقفه الوجداني من الحياة والناس، ويسهم في قضية مشتركة تجمع بينه وبين أبناء وطنه دون أن يرتد عن مفهومه الجديد للشعر، إذ يمتزج شعوره الوطني بشعوره الذاتي فتغدو القضية لديه تجربة تنبع من صميم وجدانه وتتلون بأسلوبه الشعري الخاص[١].

فلم يعد الحديث عن الكفاح الوطني إلا وجهًا من وجوه الحرية الذاتية له ما للتجربة الذاتية من شخصية فريدة وتنوع في التعبير والمواقف، وكلما كان الشاعر أكثر التحامًا بموضوعه القومي زادت الصورة وضوحا في وجدانه، وظهر أثرها جليًا في معجمه العاطفي وصوره الخيالية .

ويختلف الشعراء الوجدانيون في أسلوب تعبيرهم عن الموضوع القومي حسب نزعتهم الفنية وثقافتهم ومدى ارتباطهم بالتراث أو ميلهم إلى الجديد، وإن كانوا جميعا يختلفون عن حركة الإحياء وامتدادها؛ حيث التزموا الصدق الفني بدرجة أكبر، وتجنبوا المبالغات التي تفقد التجربة حرارتها .

على أن الشعر القومي ليس كله على نحو واحد من الحماسة يصور البطولة والتضحية في سبيل الحرية ، وتقتضي طبيعة موضوعه هذا التوازن بين القديم والحديث ، فبعض الشعر القومي عند فهد يعبر عن أحزان الشاعر لمصير قومه أو وطنه أو ألمه لما يشهد من فرقتهم وضعف شأنهم ، ويحاول الشاعر في مثل هذا اللون من الشعر أن يستثير حمية بني وطنه بالنقد الشديد اللاذع حينًا ، وبالأسى العميق حينا آخر، وهذا اللون من الشعر – كما يرى الدكتور عبد القادر القط –[٢] يظل يحمل رنة القديم – بطبيعة الموضوع – لكنه في الوقت ذاته يعكس لذعة التجربة العاطفية ولوعتها ، ولشاعرنا العسكر قصيدة من هذا اللون يرثي بها وطنه بعد أن صار اقتصاد بلاده في يد

---

[١] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣٠٩ .

[٢] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣١٢ .

حفنة من الأجانب، قد قالها بعد زيارة إلى منطقة (المقوع) وهي إحدى مدن البترول بالكويت ، قال فيها :

وطنـــي وكيـــفَ يعـــيشُ مثلـــي بُلبُـــلٌ ... مـــا بـــينَ ثُعبـــانٍ يفُـــحُّ وضِـــفدعِ

فـــي أســـرةٍ نَقَمَـــت علـــيَّ لرأفتـــي ∴ بفقيرهـــا وصَـــراحتي وترَفّعـــي

جـــار الزمـــانُ فيـــا أســـاوِدَها الـــدغي ∴ وطغى القضاءُ فيا ضفادِعها اشبَعي

مـــا كـــان مـــورِديَ الحمـــيمُ لـــو أنّنـــي ∴ مَيـــتُ المشـــاعرِ لا أحِـــسُّ ولا أعـــي

غـــبنٌ يشـــفُّ الـــروحَ أن تتفَـــتَّحَ ∴ الأورادُ بـــين الوحـــلِ والمســـتنقَعِ

وطنـــي ولـــي حـــقٌّ عليـــكَ أضـــعتَهُ ∴ وحفِظـــتَ حـــقَّ الـــداعر المتسَـــكّعِ

فلـــو أنّ لـــي طـــبلاً ومِزمـــاراً لمـــا ∴ أقصَـــيتَني أو أنّ لـــي فـــي المخـــدعِ

هـــذي عقوبـــةُ مَـــوطني وجنـــايَتي ∴ هـــيَ أنّنـــي لتيوسِـــهِ لـــم أركَـــعِ

فَقَبَعـــتُ فـــي داري كصَـــقرٍ شـــاكياً ∴ ولـــو أنّنـــا فـــي غيـــرهِ لـــم نَقبَـــعِ

فلسَـوفَ أمكـثُ فيـه مـا شـاءَ القضـا ∴ ولسَـوفَ أرحَـلُ عنـه غيـرَ مـودعِ

فـاطوي شـباكَكِ يـا هلـوكُ فمـا أنـا ∴ بالخـــائنِ المتلَـــوّنِ المتصَـــنّعِ

خُلِـقَ الأثـيمُ مُبَرقَعـاً فثـوى بـه ∴ وأنـا خُلِقـتُ وعِشـتُ غيـرَ مُبَرقـعِ

وَطني شكَوتُ لك الصدى فملأت لي ∴ كاســي وغيــرَ الصــاب لــم أتجَــرَّعِ

وَوَأدتُ فـــي فجـــرِ الشـــباب مـــآربي ∴ وبكيتُهـــا يـــا ليتَـــهُ لـــم يطلـــعِ

لهفـي علـى قلبـي الجـريح ولَـوعَتي ∴ مـــاذا جنـــى يـــا لَيتَنـــي لـــم أزرَعِ

القـردُ أضـحى لاعبـاً فـي ملعَبـي ∴ وغـدا ابـنُ آوى راتعـاً فـي مَرتَعـي

اللَـهُ أكبـرُ كيـفَ يُحفَـظُ حـقٌّ مَـن ∴ ركِـبَ الخنـا ويُـداسُ حـقّ الألمعـي

بـل كيـفَ يُمسـي ذلـك البـاغي وقـد ∴ ثَبَتَـــت إدانَتُـــهُ ويُصـــبحُ مُـــدّعي

أمـــنَ العدالـــة ربّ أن أشـــقى وأن ∴ أشـــكو جراحـــي مُكرَهـــاً للمِبضَـــعِ[1]

وشاعرنا العسكر في قصيدته هذه يمزج بين الذاتية والقومية فتظل تجربته الوطنية تحمل وهج الوجدان الذاتي، إن ما أصاب الشاعر من حزن وبؤس وفقر سببه غياب العدالة في وطنه الذي سيطر على مقدراته – في ذلك الوقت – العنصر الأجنبي ، فباتت مأساة الوطن مأساة تمس كل فرد من أبنائه، فأضحى أبناء الوطن كالغرباء في أرضهم .

والعسكر من هؤلاء الشعراء الوجدانيين الذين يمزجون عواطفهم الذاتية ومشاعرهم الوطنية في إطار من الطبيعة التي تكون عنصرًا عاما في كثير من صوره الشعرية ، فجعل العسكر من البلبل رمزًا لكل وطني مخلص ينشد الخير لوطنه، وجعل الثعبان رمزا لكل خبيث ينفث سمومه ولا يبغي من مسعاه سوى الشر والفساد ، أما الضفدع بنقيقه وضجيجه الفارغ فقد وظفه الشاعر ليكون رمزا لهؤلاء الذين لا يحسنون سوى التصفيق لصانعي القرار، فهم أبواقهم التي تتغنى بإنجازاتهم، وصورة الورد الذي نبت في الوحل والمستنقعات هي صورة هؤلاء المخلصين لوطنهم الذين لم تواتيهم الظروف للعمل في البيئة المناسبة ، فمكانهم الروض الأفيح إلا أن الظروف دفعتهم إلى الوحل ، وكانت صورة التيس رمزا معبرا عن الذي تولى مقاليد الأمور دون أن يكون جديرًا بهذا الذي اضطلع به، وكانت صورة الصقر القابع في وكره رمزًا لأهل الثقة الذين تم تنحيتهم وهم جديرون بأن يتبوءوا المكان الأسمى ، وكان القرد رمزا للعابثين ، وابن آوى رمزا لأصحاب الدهاء والمكر ، وهكذا نجح العسكر في توظيف

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٣٧ – ١٣٨ .

عناصر الطبيعة ليبرز لنا معاناته في وطنه في هذه الحقبة من التاريخ التي سيطر فيها الأجنبي على مقدرات وطنه .

فلسطين في وجدان العسكر :

ما من شك في أن القضية الفلسطينية هي إحدى أكثر القضايا التي تناولها الشعراء العرب في نصوصهم، ورسّخوها مفهومًا ومضمونًا ورمزًا ودلالة، وبأبعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية؛ لأسباب عديدة، أهمها: أنها كانت وما زات وستظلُّ قضية قومية وطنية عربية، يُعدُّها شعراء العرب المؤمنون بها – على اختلاف مشاربهم ومنابتهم – قضيتهم المقدسة العادلة، فيطوِّعون كلماتهم وإبداعاتهم لخدمتها، بوصف الكلمة أحد أشكال الثقافة المقاومة، فضلًا عن كون القضية مصدر إلهام لهم، بحيث تنجب شعرًا وتنتج أدبًا.

وبطبيعة الحال فإن مهمة الشاعر الأولى هي محاكاة الواقع وتصويره بآلته الإبداعية، لأن الشعر منذ نشأته لم يكن بمعزل عن الواقع التاريخي والسياسي والاجتماعي والثقافي، ما يدفع الشاعر إلى جعله آلة رصد ترصد الأحداث التي يعيشها ويواكبها، فيتفاعل معها ويبيّن وقائعها في نصه الشعري.

وفي سياق الحديث حول القضية الفلسطينية في الشعر العربي، نجد أن فلسطين قد حظيت باهتمام واسع من الشعراء العرب، فاحتلت موقعًا ومكانة مرموقة في نصوصهم، وشكّلت دافعًا قويًّا في تجاربهم الشعرية؛ فمنهم مَن أفرد لها القصائد الطوال في دواوينه، ومنهم الآخر مَن صيَّرته الأحداث والمناسبات للكتابة والدفاع عنها.

لقد اتجهت أنظار الشعراء العرب إلى القضية الفلسطينية قبل نكبة عام ١٩٤٨م ، فتتالت محاولاتهم الشعرية المشحونة بالتمرُّد ورفض تهويد فلسطين وتهجير سكَّانها، معتقدين أن الأمة العربية التي امتازت بالأصالة باتت تتعرض إلى محاولات مكثَّفة

لطمس الهوية القومية، واتخذوا في نصوصهم الشعرية مواقف مبنية على الوضوح والصدق، فلم تكن غايتهم الأولى استعراض المَلَكات الإبداعية والفنية والجمالية، وإنما النضال من أجل الوطن الفلسطيني المهدد بالسلب، والنماذج زاخرة في التاريخ الشعري العربي؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، يرفض الشاعرالقروي رشيد سليم الخوري – أحد شعراء المهجر الأمريكي – وعد بلفور عام ١٩١٧، ويناشد العرب؛ ليتَّحدوا [١]، فيقول:

الحقُّ منكَ ومن وعودِكَ أكبرُ
احسبْ حسابَ الحقِّ يا مُتجبِّرُ
يَعِدُ الوعودَ وتقتضي إنجازَها
مُهَجَ العبادِ خَسِئتَ يا مُستعمِرُ
لو كنتَ من أهلِ المكارِمِ لم تَكُنْ
من جَيْبِ غيركَ مُحسِنًا بُلْفُرُ [٢]

أما شاعرنا العسكر فقد دعي إلى محفل لاستقبال المعلمين الفلسطينيين في الكويت فقال تلك القصيدة :

باللَـهِ يـا رُسـلِ الثقافـةِ خبّـرو ∴ نـا كيـف حـالُ الأخـتِ يـا إخـواني
أعنـي فلسـطيناً وكيـف أميـ ∴ نُهـا وجنـودُه وبقيّـةُ السـكّانِ
بعـدَ الكفـاحِ وبعـدما بـثّ اليهـو ∴ دُ شُـرورَهم فيهـا بكُـلّ مكـان
إنّـي سـمِعتُ نـداءَها وسـمِعتُ تَلـ ∴ بيـةَ الضـياغِمِ مـن بنـي عـدنان
وزئيـرَ أشـبالِ العروبـةِ مـن بَنـي ∴ غسّـانَ لا نُكِبـوا بنـو غسّـان

[١] http://www.addustour.com/articles
[٢] http://www.addustour.com/articles

وتقـولُ يـا أشـبالَ آسـادِ الشـرى ∴ جـاءَ اليهـودُ ودنّسـوا أحضـاني

لا درّ درّ الغـادرين فـإنّهُم ∴ وعـدوا اليهـودَ بقسـمةِ البُلـدانِ

وبنـيَّ كالغربـاءِ فـي أوطـانِهِم ∴ أو لـيسَ هـذا مُنتهـى الطغيـان

فهنـاكَ فاضَـت بالـدموع محـا جـرى ∴ وَأَجبتُهـا بتوَجّـعٍ وحنـانِ

يـا مَهـبطَ الـوَحي القـديم ومَرقـدَ ∴ الرُسـلِ الكـرامِ ومَنبـعَ الأديـان

لا تحزنـي ليسَـت بصـفقةِ رابـحٍ ∴ يـا أُختُ بـل هـيَ صـفقةُ الخسـرانِ

مـا وَعـدُ بلفـورٍ سـوى أُمنيـةٍ ∴ ونـداؤُهُ ضـربٌ مـنَ الهـذَيانِ

أبنـاءُ عـدنانٍ وغسّـانٍ ومـا ∴ نادَيـتُ غيـرَ الصـيدِ والشـجعان

الصـامدونَ إذا الصـفوفُ تلاحَمَـت ∴ وتصـادمَ الفُرسـانُ بالفُرسـان

والضـاحكونَ إذا الأسـنّةُ والظبـا ∴ هتَكَـت ظـلامَ النَقـع باللمعـان

والهـاتِفونَ إذا الـدماءُ تـدفّقَت ∴ أعنـي دمـا الأبطـالِ بالميـدانِ

وإذا الصـوارمُ والقَنـا يـومَ الـوغى ∴ ذَرَفَـت علـى الشـهداءِ دمعـاً قـاني

آنَ الأوانُ وقيتُمـو كيـدَ العِـدا ∴ والخَصـمُ بالمرصـادِ كالثُعبـانِ

ثـوروا وَرُدوا كَيـدَهُ فـي نَحـرِهِ ∴ وذيولـهِ لا عـاشَ كـلُّ جَبـانِ

مـا كـانَ بالحسـبانِ أن يهبـوا ∴ اليهـودَ بلادَنـا مـا كـانَ بالحسـبانِ

لتُبَرهنـوا أنّ النفـوسَ أبيّـةٌ ∴ وليرجِعـوا بالـذلِّ والخـذلانِ

يـانشءُ هـل مـن نهضـةٍ نُحيـي بهـا ∴ المجـدَ الأثيـلَ كنَهضـةِ الجابـانِ

يـا نـشءُ هـل مـن وثبـةٍ نشـفي بهـا ∴ هـذا الغليـلَ كوثبـةِ الطليـان

يا نشءُ هل من صرخةٍ تدع العِدا ∴ صرعى الذهولِ كصرخَةِ الألمان

يا نشءُ عَرقَلَتِ العمائمُ سيرنا ∴ والدينُ أضحى سُلّماً للجاني

يا نشءُ وا أسفا على دينٍ غدا ∴ أحبولةً للأصفر الرنانِ

فجرائمُ العلماءِ وهيَ كثيرةٌ ∴ تنمو بظلّ الصفحِ والغُفران

كيفَ النهوضُ بأمَّةٍ بلهاءَ لا ∴ تنفَك عاكِفَةً على الأوثان

هيهات نبني ما بناه جدودنا ∴ وننال في هذي الحياة أماني

وشريعةُ الهادي غدت واحسرَتا ∴ في عالمِ الإهمالِ والنسيانِ

نرجو السعادةَ في الحياة ولم نُنَفِّذ ∴ في الحياة أوامر القرآن

بالدينِ قد نالَ الجودُ مناهمُ ∴ وغدوا وربي بهجةَ الأزمان

فتحوا الفتوحَ ومهّدوا طُرق العلا ∴ واستسلَمَ القاصي لهم والداني

طرَدوا هِرقل فراح يندبُ ملكهُ ∴ وقَضوا على كسرى أنوشروانِ

وعَنَت إلى الخطابِ تخطبُ ودَّهُ ∴ رُسلُ الملوكِ لهيبَةِ السلطانِ

والسعدُ رافقَ سعدَ في غزواتهِ ∴ فقَضى صلاةَ الفتحِ بالإيوانِ

وتقَهقرت ذعراً لصولةِ خالدٍ ∴ يومَ النزالِ كتائبُ الرومانِ

وغزا صميمَ الشرقِ جيشُ قُتَيبَةٍ ∴ وبهِ تحُفُّ ملائِكُ الرحمن

والمجدُ تَوَّجهُ بتاجِ زاهِرٍ ∴ ما مثلهُ تاجٌ من التيجانِ

قادَ الجيوشَ بهمّةٍ وثّابَةٍ ∴ وتوَغّلَ ابنُ زيادِ في الأسبانِ

وبنى معاويةٌ بجلَّقَ عرشَهُ ∴ فأضا سماءَ الشرقِ تاجُ الباني

وحنَـــت لهَيبَتِـــهِ الملـــوكُ رؤوسَـــها ∴ ولمـــن تـــلاهُ مـــن بنـــي مـــروانِ
وأقـــامَ هـــارونُ الرشـــيدُ وإبنُـــهُ ∴ المـأمونُ صـرحَ العلـم فـي بغـدان
ومجـالسُ العلمـاءِ والعظمـاءِ والأد ∴ بـــاءِ والشـــعراء والنـــدمان
واليـومَ أيـنَ حضـارةُ العـربِ التـي ∴ أنوارُهـا سـطَعَت علـى الأكـوانِ
وبنايـةُ المجـد التـي قـد ناطحَـت ∴ هـامَ السـماكِ ومشـعلَ العِرفـانِ
عصـفَت بهـا ريـحُ الفسـاد فهـدّتِ ∴ الأركـانَ رغـمَ مناعـةِ الأركـان
وطنـي وصـيّرنا الزمـان أذلّـةً ∴ لنعـيشَ فـي الأوطـان كالعبـدانِ
نعصـي أوامـرَ كـلّ فـردٍ مُصـلحٍ ∴ والـدينُ ينهانـا عـن العِصـيان
والختـلُ والتـدجيلُ قـد فتكـا بنـا ∴ وتَقودُنـا الأطمـاعُ كالعميـانِ
كـلٌّ بميـدانِ للذائـذِ والهـوى ∴ تَلقـى عواطِفَـه بغيـرِ عنـانِ
أمّـا الفقيـرُ فـلا تسَـل عـن حالـهِ ∴ أبـداً فتلقـاهُ عظـيمَ الشـانِ
ذو المـالِ نغفـرُ ذنبَـهُ ونُجِلّـهُ ∴ حـالٌ تُثيـرُ لـواعجَ الأشـجانِ
والحُـرُّ نُشـبعهُ أذىً ونُذيقـهُ ∴ سـوءَ العـذابِ ولا يـزالُ يُعـاني
ونُحـيطُ بـالتعظيمِ كـلّ منـافقٍ ∴ بـاعَ الضـميرَ بـأبخسِ الأثمـانِ
مـا نحـنُ فـي وطـنٍ إذا نـادى الأبـ ∴ رُ بـهِ يـرى نفـراً مـن الأعـوانِ
مـا نحـنُ فـي وطـنٍ إذا صـرخَ الغيـو ∴ ـيُّ بـه يُجـابُ نـداهُ يـا أقرانـي
وطـنٌ بـهِ يتجـرَّعُ الأحـرارُ وا ∴ أسـفاهُ صـابَ البُـؤسِ والحرمـانِ
ويـلاهُ أجنِحَـةُ الصـقورِ تكسَّـرَت ∴ والنسـرُ لا يقـوى علـى الطيـران

وأرى الفضـاء الرحـبَ أصـبحَ مسـرَحاً ∴ واحســـــرَتا للبـــــوم والغربـــــانِ

والليـــثُ أمســـى بـــالعرينِ مُكَـــبَّلا ∴ والكَلـبُ يرتَـعُ فـي لحـومِ الضـانِ

فلـــمَ التخـــاذلُ والعروبـــةُ أُمُّنـــا ∴ ولـمَ الشـقاقُ ونحـنُ مـن عـدنانِ

فتعاضـــــدوا وتكـــــاتَفوا وتـــــآلفوا ∴ وتســـــاندوا كتسَـــــاندِ البُنيـــــانِ

وتـــــآمروا بـــــالبرِّ والتقـــــوى ولا ∴ تتـــــآمروا بـــــالإثمِ والعـــــدوانِ[1]

يوجه الشاعر في مطلع قصيدته حديثه لمعلمي فلسطين الذين أتوا الكويت في بعثة تعليمية ويناشدهم أن يخبروه عن حال فلسطين في ظل الاستعمار البغيض، والعسكر في هذه القصيدة يذكي روح الحماس في أمته العربية والإسلامية ، فتارة يلعب على وتر العروبة بشكل عام فيتحدث عن أصل العرب وأجدادهم فيذكر عدنان (جد النبي صلى الله عليه وسلم) وغسان (الذي سكن الشام في القرون الغابرة) ، وتارة يلعب على وتر الدين الواحد لهذه الأمة وهو دين الإسلام ، فيذكر الأمة بماضيها الأثيل وريادتها المنصرمة للعالم أجمع، فيذكر الأمة بإنجازات أسلافها كخالد ومعاوية وهارون الرشيد، ولكل وتر من هذين (العروبة والإسلام) جمهوره ومؤيدوه.

ثم يدلف شاعرنا في وضوح إلى الأسباب التي من أجلها تخلفت الأمة عن ركب الحضارة والتقدم، وهي عصيان أهل المشورة والرأي وطاعة الأهواء والأطماع ، وتنحية العلم والسير في ركب الدجل والخرافات التي لا تغني صاحبها شيئا، وانعدام العدالة الاجتماعية التي ينشدها المصلحون، ثم لا يلبث أن يدمج شاعرنا الوجداني الطبيعة في تصويره للمنافقين المفسدين والمصلحين ، فنجد الاستعارات تترا حول هذين الصنفين من الناس ، فنجد الصقر الذي تكسرت أجنحته، ونجد النسر العاجز عن التحليق، حتى أصبح الفضاء مسرحا لكل الطيور الكريهة مثل البوم والغربان ، وصورة الليث المكبل والكلب الراتع بلا حساب ، كلها صور تظهر هذه المفارقة الفجة

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٢٣-١٢٦ .

بين ما يلاقيه المصلحون في أوطانهم من ذل وهوان، وبين ما ينعم به المنافقون رغم إفسادهم لبلادنا .

ثم يختم شاعرنا قصيدته موجها حديثه لأمته العربية ناصحا إياها بالاتحاد وعدم الشرذم مقتبسا المعنى من قوله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " [١] ، وهكذا كانت قضية فلسطين راسخة في وجدان الشاعر الكويتي فهد ، فصور لنا المحنة وتداعيتها وأسبابها والسبيل إلى حلّها.

الجندي في ميدان القتال وجدير بنا أن نتوقف قليلاً أمام واحدة من صور الشعر الوطني؛ لنستجلي صورة الشهداء الذين سقطوا في ساحة الجهاد الوطني بعيون الرومانتيكية، ويدور مغزاها العام حول تمجيد منزلة الشهيد، وسمو مكانته فيما بعد الموت، لكن الشاعر يقدم هذا المغزى من خلال عدد من المشاهد المتتابعة التي تتآزر معًا على أدائه، فالمشهد الأول يبدأ برصد نقطة الذروة في الموقف، وهي عشق الشهيد للمجد وبغضه للذل الأمر الذي حدا به ليبذل روحه في سبيل تحقيق هدف نبيل هو نوال حريته وحرية وطنه .

عشق المجد والهوى فكرةٌ تنمو

وتسمو بالروح والوجدان

واجتوى الذل كيف لا وهو حرّ

أيطيق الأحرار عيش الهوان

يا له اللّه من همامٍ غيورٍ

صادق العزم ثابت الإيمان

حَمَلٌ قبل أن تدول الرحى ليـ

---

[١] سورة المائدة – الآية ٢ .

ثٌ إذا أوشكت قويّ الجنان

يتغنى والموت منه قريب

بالمنى والجنديّ رمز التفاني

أيّ وقع في النفس صاح لمرأى

مستميت يختال في الأكفان

تتراءى في عينه صور قد

أخرست عبقريّة الفنان

رسمتها بريشة الحزم والعز

م يد الحق في أدق معان

وإذا ما دعاه قائده الباسل لبـ

ـى بالروح لا باللسان

يتخطى الصعاب غير مبال

بزفير الآلات والنيران

وزئير الحديد في أذنيه

شدو قيثارة ورجع مثاني

وأنين الجرحى وحشرجة المو

تى هتافٌ لا عاش كلّ جبان

ويزيد الملاح في ثورة اليم

نشـاطا مهارة الربّان

دمه في عروقه أجّجته

ثورة الروح فهو في غليان

هاتف صارخ به وهو في ليـ

ـلٍ من النقع بين سحب الدخان

وكؤوس الردى يطوف بها الهو

ل فللّه سكرة الندمان

كلما صفّق العلا لشهيد

هتف المجد للشهيد الثاني

أي بأس كبأسه حيثما ثار

بوجه الأعـداء كالبركان

ثورة زلزلت قلوبا وأرواحا

فبـــاء العدو بالخذلان

إن للحقّ صولةً تصرع الظلم

وتودي بالبغي والطغيان

وجنودا تمدّهم قوّة اللـ

ـهِ ويرعاهم بعين الحنان

وجلالاً ملءَ النفوسِ تجلى

بثبات الشـيوخ والشبّان

وجمالاً حواه أسمى وسام

رصّعته الجـروح بالمرجان

إيه يا ابن الحريّة البكر

أبليت فإن يهدموا فأنت الباني

فعليك السلام حيّا وميتا

وتقبّل منّا أحرّ التهــاني[1]

تتجلى في الأبيات هذه القيم في عظمة الاستشهاد دفاعًا عن حرية الوطن، وفي سمو منزلة الشهيد عند الله، وخيال الشاعر هنا يحلق كثيرًا في جو التراث الإسلامي، ويستنشق عبيره، لكن من الحق أن يقال: إنه لم يسقط أسيرًا لمعطيات هذا التراث، فردده ترديدًا باهتًا، وإنما سكب فيه من أصالة فنه وخصب إبداعه. فنرى صورا طريفة قد اختلجت روح تلك التجربة ، مثل قوله : " عشق المجد " و " الهوى فكرة " و " ريشة الحزم " و " رصعته الجروح " فأكسبت التجربة جدتها.

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٩٧ – ١٩٨ .

المبحث الثالث

الحنين إلى الماضي

للشاعر الوجداني ملاذ آخر غير الحب والطبيعة وأغاني الحرية، وهذا الملاذ هو الماضي بكل ما فيه من ذكريات ممتعة أو مؤلمة ، وتذكر الماضي واستحضار صورته في الذهن عند العسكر يمكن أن يعد نظير الحلم بالغد ، فكلاهما ينتزع الشاعر من الحاضر البغيض إلى عالم مغلف بحنان الذكرى ، لذلك يبدو الماضي وكأنه وجود مطلق لا تحده ذكريات بعينها فهو ليس حنينا إلى ما كان ، بل توقًا إلى ما كان ينبغي أن يكون[١]

يقول العسكر :

ليلةٌ ذكرياتُها ملءُ ذهني وهي في ظلمةِ الأسى قنديلي[٢]

وحنين العسكر إلى الماضي قد يظهر فيه الإشارة إلى تجربة عاطفية ، ولكن هذه التجارب تبدو بدورها في متاهات الماضي البعيد، بحيث لا تظهر معالم التجربة، يقول العسكر :

يا عروسَ الإلهامِ موعدُكِ الشاطىءُ
مأوى العشاقِ عندَ الأصيل
فإلى الملتقى هناكَ وهاتِ الشعرَ

[١] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣١٦ .
[٢] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤٨ .

وزَفيري على المنى وشهيقي
وهيَ صرعى على يقيني القتيلِ
وصراخُ الأشجانِ في مُهجَةِ النف
سِ وصمتُ الأسى الممضّ الطويل
ونواحُ الآمالِ في غمرَةِ اليأ
سِ وجهشُ المعذّبِ المخذولِ
نفّسي عن مُعَذَّبِ الصدرِ حبّاً
ليعودَ الكرى لجَفني الكليل
فالمنى والرؤى وحلمُ الصبا وهمٌ
ولا عاشَ كلُّ صبٍّ بخيلِ[1]

والحنين إلى الماضي عند فهد ذو شقين ، شقٌّ يختص بشخص الشاعر وتجاربه الخاصة وذكرياته (كما مر بنا) ، وشق يتصل بماضي أمته وما يشتمل عليه من عراقة وبطولات وأمجاد ، وهو المقصود هنا إذ عمدنا إلى الحديث عن المثل العليا، وماضي الأمة يأخذ عند العسكر حينًا بعدًا قوميًا يتعلق بالجزيرة العربية وبتاريخها بوجه عام ، أو ببلده الكويت بشكل خاص ، وأحيانا يتناوله من وجهة دينية فيتحدث عن ماضي الأمة الإسلامية عمومًا .

والحديث عن التاريخ والبطولات عند شعراء الرومانتيكية له سحر خاص ؛ إذ يحقق من خلال التغني به كثيرا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه ولحظته الحاضرة ، كما يتيح له البعد الزمني ، وما يغلف به الزمنُ التاريخَ به من جوّ شبه أسطوري مجالا للخيال والإبداع ، ويشتد إحساس الشاعر الوجداني العربي بالتاريخ ويزداد تعلقه ببطولاته كلما ألح عليه الشعور بأن حاضر أمته لا ينهض إلى

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤٨ .

مستوى ماضيها العريق ، وكلما ضاق بما يشهد في بلاده من تفرق الكلمة أو ضعف الهمة أو نسيان تلك البطولات والأمجاد[١] .

ونلمس أن شعر البطولة والحديث عن الأمجاد – عند فهد بشكل خاص وعند الرومانتيكيين بشكل عام – يجنح إلى طبيعة الشعر القديم في إيقاعه العام ، بكل ما يتضمنه من خصائص ، حيث الألفاظ الرصينة ، والخيال المستمد من التراث، وهو أمر يفرضه الموقف، ويقتضيه سياق الحديث عن أمجاد الماضي .

وللأمجاد الدينية مكان مرموق في شعر هؤلاء الشعراء ، فكما شغف القصاصون والروائيون باستحياء البطولات والتضحيات والنماذج الإنسانية الفريدة من أحداث الإسلام ووقائعه الأولى وشخصياته المعروفة، وجد الشعراء في ذلك كله مثارًا لوجدانهم الذي يعشق المثل العليا ويحن إلى الآفاق الروحية الأولى[٢]، يقول العسكر في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

طلَع الفجرُ غَنِّ يا قمريّه
واطربي الروحَ بالأغاني الشَجيّه
واشدُ يا طيرُ بالغُصونِ وأيقِظ
بأناشيدِكَ الزهورَ النديّه
ملأ الفجرُ أكؤسَ الوردِ راحاً
لك تُزري بالصرفَةِ البابليّه
فإذا ما اصطبَحتَ يا طيرُ عبّر

[١] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣١٨ .
[٢] ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣٢١ .

مـا رأى الوردُ مـن رؤىً سِحريّه

وتـقـبّـل وأنـتَ نـشـوانُ شـادٍ

قُـبُـلاتِ النسـائم العطريّه

ها هو الصبحُ قد تبدّى تُحَلّي

ثَـغـرهُ الحلوَ بـسمـةٌ ورديّه

وانظُرِ الكونَ كَيفَ يَرفُل يا طيـ

ـرُ بـتـلكَ الغـلائِلِ العَسجديّه

يـا صَـبـاحاً لِخَيرِ يومٍ تـجلّى

جـئتَ أهـلاً وألف ألفِ تـحـيّه

بَزَغَت فوقَ فرقِكَ الشمسُ تاجاً

تَـتـلالا أنـوارهُ الذهـبيّه

غـابَ بـدرُ السمـاءِ لمّا تبَدّى

وتوارت منـهُ النجومُ السنيـه

كيف لا يُمنَحُ الجمالَ وفيـهِ

أشرقَت طلعةُ النبـي البهيّه

طلعـةُ المنقذِ العظيمِ الذي

أنقذَهُم من مخالبِ الجاهليّه

طلعةُ المصلحِ الذي أسعد النا

سَ بظلّ الشريـعـةِ الأحمديّه

خـصّهُ اللَهُ بـالهدى فتـجلّت

حِـكـمـةُ اللَهِ خـصّ نـبـيّه

قُرشِـيٌّ صلّى عليـهِ وأثنـى
بـالكتابِ المجيد ربُّ البريّه
يا بنـي العُربِ والكوارثُ تَترى
أوقِفوا سيرَها وصونوا البقيّه
يا بنـي الفاتحينَ إنّا بعَصرٍ
لا مُساواةَ فيـه لا مدنيّه
لا إخاءٌ كما ادّعوا لا حقوقٌ
لضَـعـيـفٍ عـانٍ ولا حُـريّه
بل بعصرٍ فيهِ الضعيفُ مُهانٌ
فالنـجاةَ النجاةَ المشرفيّه
يا بني العربِ إنّما الضعفُ عارٌ
إي وربّي سلوا الشعوبَ القويّه
كم ضعيفٍ بكى ونادى فراحـ
ـت لِبُكـاهُ تُقَهقِهُ المدفعيّه
لُغَةُ النارِ والحديدِ هيَ الفُصحـ
ـى وحظّ الضعيفِ منها المنيّه
ها هيَ الحربُ أشعَلوها فَرُ
حماكَ إلهي بالأمّةِ العربيّه
يا بنـي الفاتحين حتّامَ نبقى
في رُكودٍ أينَ النفوسَ الأبيّه

غَيرُنا حقّقَ الأماني وبتنا

لَم نُحقّق لنا ولا أمنيّه

فمِنَ الغَبنِ أن نعيشَ عبيداً

أينَ ذاك الإباءُ أينَ الحَمِيّه

قُم معي نَبكِ مجدَنا ونسحُّ

الدمعَ حُزناً ونندبُ القَوميّه

قُم معي نسألِ الطلولَ عساها

تَشفِ بالردّ غلّةً روحيّه

وعن ابنِ الخطّابِ من حكمهُ العـ

ـدل وسعدٌ بوقعةِ القادسيّه[1]

يستهل الشاعر قصيدته تلك بمقدمة على غرار الشعر القديم ، ولكنها ليست مقدمة غزلية ، بل مقدمة في التغني بجمال الطبيعة من حوله ، وهذه التقنية منتشرة في شعر العسكر ، حيث يستعيض العسكر بمقدمته في ذكر جمال الطبيعة عن المقدمات التقليدية ، في محاولة للجمع بين المدرستين ، ثم ينتقل الشاعر إلى موضوعه الأساسي وهو الحديث عن ميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وشاعرنا في هذه الأبيات قد جعل من ذكرى مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) مدخلًا يلج منه إلى موضوعه، حيث ركز على إظهار هذه المفارقة بين ما كان عليه الأولون من رفعة وسيادة ، وما صرنا إليه من هوان وضعة ، داعيًا قومه وأمته العربية للتمسك بما كنا عليه في سالف الدهور؛ حتى نسترد مكاننا المرموق بين الأمم

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٥-١١٦ .

كما حرص الشاعر أن يركز على ما اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من جميل الخصال وحسن الشمائل ، في دعوة إلى التأسي به ، في عصر لا يعرف سوى لغة النار والحديد والحروب ، والشاعر يُذّكر قومه بأجدادهم الذين سادوا في زمانهم،علّهم يفيقوا من رقادهم.

وله قصيدة أخرى في ذكرى مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول فيها :

كَفكِف بربّك دمعكَ الهتّانا
وافرَح وهنّىء قلبكَ الولهانا
واهتِف وصفّق واحسُ من راح اللـ
ـقا كأساً لكيما تطرد الأحزانا
واسكُب أناشيدَ اللقاء بمَسمَع ال
دهر المصيخ وردّدِ الألحانا
بُشراكَ ذا يومُ الولادةِ قد أتى
فعساهُ يوقظُ روحَك الوسنانا
أو ما رأيتَ صفاءهُ وبهاءَهُ
وجلالهُ وجمالَهُ الفَتّانا
قُم يا أخا الشوق الملح وحيّه
وانثُر عليه الوردَ والريحان
الورقُ تشدو والبلابلُ سُجّع
والروضُ يرقُص ضاحكا نَشوانا
وعلى الأزاهرِ وهي تبسِمُ للضحى
نثَر الصباح زُمُرّدا وجمانا
هبّت نسائِمُه لتَنثُر طيبها
وتُداعِب الأوراد والأغصانا

والكونُ يبدو مشرقاً مُتَهلّلا
متَبسّما للقائِه مزدانا
وعرائس الإلهامِ قد طلَعَت فقُم
وابن القوافي وارسُم الأوزانا
انظُم لآلِئَها لهُ وعقيقَها
ثمّ انثُر الياقوت والمرجانا
يا أسعدَ الأيام يا عنوانَها
أنعِم وأكرِم إن تكُن عنوانا
لَم تَشفِ راحُ الذكرياتِ أوامَنا
فعَسى نبُلُّ من اللقاءِ صدانا
يا أبرَك الأعياد ألفُ تحيّةٍ
منّا تفيضُ عواطِفاً وحنانا
أرواحنا رَشَفَت بفجركَ حلمَها
وقلوبُنا قد صفَّقَت مُذ بانا
عَشِق الملائِكُ بالسماءِ جمالَهُ
وسبى سناهُ الحور والوِلدانا
يا فجرَ يومِ ولادةِ الهادي أطِل
لَّ على النفوسِ وبدّدِ الأشجانا
وابعَث بها ميتَ العواطفِ واطرد
اليأسَ المُضّ وأيقظِ الإيمانا
بك أشرقَ المختارُ في رادِ الضُحى
شمساً أنارَ سناؤُها الأكوانا
إنّي لألمحُ في جمالِكَ مسحةً
من حُسنهِ أغرَت بكَ الوجدانا
وعلى جبينِكَ من سناهُ غُرَّةٌ

لم تعدَمِ اللالاءَ واللمَعانا
يا مَن بهذا اليومِ أشرقَ نورهُ
وأضاءَ في قبسِ الهدى الأذهانا
وأنارَ بالإيمانِ أفئِدةَ الورى
وأزالَ عنها الغشّ والأدرانا
وبنى منارَ العدلِ بعدَ سقوطهِ
فمحا ضياهُ الظلمَ والطغيانا
قُم يا رسولَ اللَهِ كي نشكو إليك
فمن سواكَ نبثّهُ شَكوانا
قُم يا رسولَ اللَهِ وانظُر هل ترى
إلا شُعوباً تعبُدُ الأوثانا
قُم وانظر الدينَ الحنيفَ وأهلَهُ
أعزِز وأكبِر أن تراهُ مُهانا
قُم واهدِنا واعمر خرابَ قُلوبنا
إنّا نَبَذنا الدينَ والقرآنا
إنّا نسينا اللَهَ حتى سلّطَ
الباري علينا يا نبيُّ عِدانا
ويلاهُ أهمَلنا التعاليمِ التي
جاءَ الكتابُ بها فما أشقانا
ما أن تركنا البرَّ والتقوى معاً
حتّى ألِفنا الإثمَ والعُدوانا
نعصى أوامِرَ كلّ فردٍ مُصلح
والدينُ عن عِصيانهِ ينهانا
والختلُ والتدجيلُ قد فتكا بنا

وتقودُنا أطماعُنا عميانا
كلّ بميدان اللذائذِ والهوى
يجري وما تلقى لديهِ عنانا
أما الفقيرُ فلا تسل عن حالهِ
حال تُثيرُ الهم والأحزانا
مسكينُ لا يشكو ويندبُ حظه
ونصم دون شكاتهِ الآذانا
أما الغنِيُّ فقلبهُ ويمينهُ
لا يعرفانِ العطفَ والإحسانا

يختالُ في حُلَلِ الهنا بينا ترى
ألفَ التعاسَة ذاك والحرمانا
المالُ سيدُنا ونحنُ عبيدهُ
أو لَم ترَ التسليمَ والإذعانا
أو ما ترانا بالمبادىء والضمائِرِ
كيف نفدي الأصفرَ الرنّانا
والكلّ منا بالموائدِ والملابس والأثـ
ـاثِ يُفاخِر الأقرانـــا
أطفالُنا اتّخَذوا الشوارع مسكناً
أفَينبَغي أن نُهمِلُ الصبيانا
آباؤُهُم لا يرحمونَهُمُ ولَم
يجدوا بصَدرِ الأمّهاتِ حنانا
فيشِبّ والفحشاءُ ضرعُ لبانهِ
والذِنبُ ذنبُ رجالنا ونِسانا
هذي جرائِمنا وهل أربابُها

يرجونَ بعدُ الصفحَ والغُفرانا
يا عيدُ إن نَشكو إليكَ فإنّما
نَشكو إلى من جاءَنا فهَدانا
العالمُ العربيُّ يرنو حائِراً
قَلِقاً إلى مَن أَوقَدوا النيرانا
وَيلاهُ قد جَهِلَ المصيرَ فواسِه
يا عيدُ وامسَح دمَعُ الهَتّانا
حدّثهُ قد طابَ الحديثُ عن الألى
فعسى تُثيرُ بنَفسهِ البُركانا
عن مجدِنا وملوكِ أهلِ الأرض
هلا نَكّسوا الأعلامَ والتيجانا
حدّث عن الفاروقِ عنوانِ العدا
لةِ كيفَ شاد الملكَ والسلطانا
وعن الغضنفَرِ سعدِ هلّا زَلزَلَت
بزَئيرِها أشباله الإيوانا
وعن الفتى المقدام أعني خالداً
أيّامَ مَزَّقَ جيشُه الرومانا
وعن الشام وعن معاويَةَ الذي
أعلى البناءَ وشَيّدَ الأركانا
وأدِر على أسماعِنا ذكرَ الذي
للصينِ قادَ الصيدَ والشجعانا
والضيغمِ ابن زياد طارقَ كيف
قادَ السُفن لمّا أن غزا الإسبانا
رَجِّع بربِّك قولَه إن العدوَّ

أمامَنا أمّا الخِضَمُّ وَرانا
وعن الرشيد وكيفَ أشرقَ تاجُه
شمساً أنارَ سناؤُها البلدانا
في عصرِهِ الذهبي صفّقَ راقصاً
طرِباً على هامِ السماكِ لِوانا
والمجدُ مزدَهِرٌ مطلٌّ من عل
عشقَ الوجودُ شبابَهُ الرّيّانا
كانوا على وَجه البَسيطة سادة
أبداً وكنّا بعدَهُم عبدانا
عبثَ الفسادُ بنا فبَعثرَ ملكَنا
والجهل شَتَّتَ شملَنا فكَفانا
أبناءَ يَعربَ والكواربُ جمَّةٌ
هيّا انبذوا الأحقادَ والأضغانا
وتآلفوا وتكاتفوا وتساندوا
مُتَراصفينَ وحرّروا الأوطانا
إنّا بعصر لا يعيشُ به سوى
من كان يملِكُ صارماً وسِنانا
هُم أعلَنوا الحربَ العوانَ على سِـ
ـواكَ وأعلنوا حربا عليكَ عوانا
الأرضُ ترجفُ والسما مغبَرّةٌ
وبكل ناحيةٍ ترى شَيطانا
والبحرُ يبدو عابساً مُتَجَهّماً
أينَ الأمانُ لِنَسألَ الرحمانا
غازٌ وألغام بها كمنَ الردى
والطائرات تُطاردُ الإنسانا

ومدافعٌ والموتُ من أفواهها
أجرى الدماءَ وفرّقَ الأبدانا
وقنابلٌ صرعَ القلوبَ صراخُها
ويلاهُ تمحو الدورَ والسكانا
لم يسلَمِ الطفل الرضيع وأمّه
منها وتُردي الشيبَ والشبانا
أنّى التفتّ فلا ترى إلا حديداً
أو شواظاً محرِقاً ودُخانا
نارٌ ولكنّ الضعيفَ وقودُها
واحَسرتا إن أعلنَ العصيانا
هذي ميادينُ القتالِ تعدّدت
وبكلّ ناحيةٍ ترى ميدانا
فقد انبرى العُقبانُ ينفثُ سمّهُ
في كلّ جو فاحذروا العُقبانا
رحماكَ ربّي فالدما مستنقعاتٌ
خضّبَت وجه الثرى العُريانا
طفَتِ الجماجمُ فوقَها وتناثرَت
من حولها الأشلاءُ يا مولانا
يا عيدُ أينَ السلمُ طالَ غيابُه
فمَتى يعودُ وهل يخيبُ رجانا
أفرادَ يعرُبَ والعروبةُ تَشتكي
هلّا شفَيتُم قلبَها الحرانــا
هيَ تستجيرُ بكم فقوموا وأقسِموا
يا قومُ ألّا تُغمِضوا الأجفانـا

واستَمسِكوا بالعروَةِ الوُثقى وكونوا
صـــادقينَ عقيدةٌ ولِسانا
كلّ الشعوبِ تقدّمَت وتحَرّرت
أيروقكُم سجنُ الحياةِ مكانـا
يا نشءُ أمّة يعرُبٍ عقدت عليك
رجاءَهـــا قم قدّم القربانا
يا نشءُ يا أملَ البلاد وسؤلَها
أقسِم على أن لا تطيقَ هوانا
أقسم لها أن لا تنامَ وأن تظلّ
على الولاءِ لها وأن تتفانـى
أقسم على أن لا يعيشَ بأرضِها
من باعَ مبداهُ وشَذّ وخانا
أقسِم إذا ما الخصمُ حاولَ أن
يهاجِمَها على أن لا تكونَ جيانا
أقسِم لها يا نشءُ إن نادى المنادي
للوَغى أن تلبِسَ الأكفانـــا
وأعِد سعادَتها إليها أيّها الند
شءُ الجديدُ وأعِطها البُرهانـا
فاللَهُ نِعَم العون جلّ جلالُه
إن تعدَمِ الأنصارَ والأعوانا[1]

وهذه القصيدة – كالتي قبلها – جعل العسكر فيها ذكرى مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مدخلا يُذكر فيه أمته بهذا الضعف الذي حلّ بها حينما نحّت التعاليم

[1] عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٨ – ١٢٠.

القويمة التي أتى بها الرسول الكريم ، ومن الخصائص الأسلوبية لهذه القصيدة التي تؤكد صحة هذا الفرض هو عناية الشاعر الكبيرة بالأساليب الإنشائية، حيث أضحت القصيدة وكأنها مجموعة من النداءات والأوامر والنواهي الصادرة من أعماق الشاعر لأمته العربية يدعوها فيها إلى نبذ كل ما من شأنه أن يعوق سيرها نحو التقدم ، فلا سبيل إلى النهوض – كما ذكر الشاعر – إلا بالتمسك بهذا التراث التليد الذي خلّفه لنا أسلافنا .

خاتمـة البحث

إذا كانت إرهاصات الرومانتيكية في العالم الغربي قد لاحت مع الثورة الفرنسية التي تنادي بالمساواة والعدل، فإننا نلمس كيف دعت إلى المثل العليا؛ فالرومانتيكية قد خرجت من رحم المعاناة والشعور بالاضطهاد والظلم، فلا غرو أن نراها تنشد القيم والمثل .

وكانت الظروف التي نشأت فيها الرومانتيكية في الوطن العربي مشابهة لتلك الظروف التي نشأت فيها في الغرب ؛ حيث سطع نجم الرومانتيكية في عالمنا العربي في نهايات القرن التاسع عشر، وعالمنا العربي يرسف في قيود الاحتلال الإنجليزي والفرنسي وغيرهما ، فجاء شعراء الرومانتيكية ينشدون التحرر من تلك القيود ، فرأينا الثورة على التقاليد العمياء التي لا مبرر لها سوى أنها من فعل الأجداد ، ورأينا الانشغال بقضايا الوطن، ورأينا الحنين إلى الماضي بما يحمله من تاريخ مشرف ، وهذه هي المثل العليا كما ظهرت في شعر فهد العسكر محور تلك الدراسة .

المصادر والمراجـع

١- أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – قدم له وشرحه أ/ أحمد حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٤م .

٢- إلياس أبو شبكة – أفاعي الفردوس – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٤م .

٣- د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ م.

٤- عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٩٧م .

٥- عقيل يوسف عيدان – معصية فهد العسكر – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م .

٦- علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – مصر – القاهرة – ط١ – ٢٠١٢م .

٧- د / محمد غنيمي هلال – الرومانتيكية – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – بدون تاريخ .

٨- ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢ .

٩- وليد منير – جدلية اللغة و الحدث في الدراما الشعرية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٧ .

مواقع إلكترونية

١٠-https://www.klmat.com

١١-https://albaleegh.com/poet

١٢- https://www.hindawi.org

١٣-http://www.addustour.com/articles

١٤-https://ar.wikipedia.org

١٥- https://www.aldiwan.net/poem62789.html

١٦-https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar